

اللغة العامية

لم يضع الأفنديون مؤلفاً في اللغة العامية العربية . بل اشاروا الى وجودها من طرف خفي ، في تضاعيف كلامهم عن لغات العرب وقبائلهم ، وحسنا فعلوا انهم لم يدونوا شيئاً عظيماً في هذا الموضوع ولو كانوا فعلوا لما استطاعوا ان ينشروا لغة قريش ويجعلوها لغة واحدة لجميع القبائل وفي جميع الديار العربية .

وما فعله العرب قبيل الاسلام . فعله الافرنج على اختلاف قومياتهم في صدر حضارتهم . هؤلاء الفرنسيون والاسبانيون والايطاليون والانكليز والالمان الى غيرهم . كان لهم لغات ولهجات : الا انه نبغ فيهم رجل كتب كتاباً جليلاً بلهجته الخاصة به فاتبعه قومه ، ثم حظروا اتخاذ لهجة اخرى فتوحدت اللغات وفي الوقت عينه توحدت القومية والافكار والخواطر ونشطت العلوم والفنون والصنائع وكثرت المصنفات على تنوع مواضعها .

ولما تمكنت تلك اللغة القومية من أعضاء الامة . اجاز اولو الامر بعد ذلك رجوع كل قبيل او كل جيل من اجيال الامة العظمى الى لهجتها . وهكذا نرى اليوم في فرنسا من يكتب بلغة بروكس وبرتغالية الصغرى . وكذا نرى في اسبانية من يعيد درس الباسكية وتقويتها . وهكذا قل عما يجري في ايطالية والمانيّة وانكلترة . اذ كل جيل من اجيال تلك الامم الكبرى يحاول اعادة درس لغته قومه او لغة قبيلته او لهجة صقعهم .

وعليه اصبح اليوم من اللازم درس كل قوم لهجته ووطنه . اذ لا خطر اليوم على اللغة الفصحى بعد ان تمكنت في جميع البلاد . واصبح درسها من اول

«بل دودو» ومعناه مدينة الاله في لغة السريانيين الكلدان لا تؤيد مفردات لغة هؤلاء القوم . ولو كان يلم بشيء من هذه اللغة لما قال هذا القول الذي لاحقة له سوى التوهم .

الواجبات ، لان اللغة اذا فقدت ، فقدت القومية ، وتناثر اوصالها ، وتبددت اشلاؤها .

وللشاعر المصري معروف الرصافي كتاب في هذا الموضوع كسر على ثلاثة غرور : ضمن الفر الاول : اصول اللغة العراقية وقواعدها واحكامها ؛ وجعل الثاني مجموع مشاهير اقوالهم من مثل سائر وقول عائر ، وييت عامر . وابقى مفردات الالفاظ مضمون الفر الثالث . ومن كل ذلك قد اكتفى بالالباب ، وترك التوسع في كل من هذه المضامين الثلاثة لمن يريد الامعان فيها والاستزادة منها .

ودونك لان مقدمة هذا التأليف :

(ل.ع)

دفع المراق

في كلام اهل العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الله في خلقه عاملين دائبين يخضع لحكمهما كل حادث في جميع احواله واطواره . ونشوء ، واندثاره . وهذان العاملان هما الزمان والمكان ، فلا شيء إلا وهو ريب في حجرهما ، ورضيع من تديبهما ، يشب بما غذيلاه ، ويشيب بما رمياه . ومن ذلك لغات البشر : فانها من اكثر الاشياء خضوعا لحكم هذين العاملين في الرقي والانحطاط . وما اختلاف لغات الامم إلا نتيجة من نتائج هذين المؤثرين .

ولقد تعاوزت اللغة العربية ازمنة وامكنة اوصلتها الى ماهي عليها اليوم من اللهجة المعلومة التي تلوكلها افواه العامة لو كما مختلفا باختلاف الاصقاع ، كلهجة اهل العراق . وسورية ، والحجاز . ومصر ، والمغرب وغير ذلك من البلاد المأهولة بالمتكلمين بالعربية .

على ان تأثير الزمان والمكان لم ينحصر من اللغة العربية في تغيير لهجتها فقط . بل تعد عم مفرداتها ايضا : فان من مفرداتها ما قصد اندثر ولم يبق له شيء

كلام العامة من اثر ، ومنها ما قد تغير لفظه او معناه او كلاهما تغيراً مختلفاً باختلاف الاماكن والازمان : كما قد تكونت فيها من المفردات ما لم يكن من قبل موجوداً في مقها : ولما كانت هذه المفردات متكونة بحكم الزمان والمكان كانت مختلفة ايضاً باختلافهما . ففي كلام العراقي منها ما ليس في كلام السوري ، وفي كلام السوري ما ليس في كلام المصري : وهكذا .

غير اننا نجد لهذين المؤثرين في اللغة العربية اثراً واحداً قد عم جميع المتكلمين بها في جميع الانحاء وهو سقوط الاعراب منها . فهذا الاثر وحده هو الذي نجد عاماً في كلام العراقي والسوري والحجازي والمصري وغيرهم . وان قال قائل : هل يعد هذا التغير الحاصل في اللغة العربية انحطاطاً . او يعد اصطفاءً وارتقاءً ؟

قلنا : ان الجواب على هذا السؤال لا يكون إلا بعد طول نظر واعمال فكر وليس من غرضنا في هذا الكتاب ان نخوض في مثل هذه المسألة العويصة . سوى اننا نقول : لا يجوز الحكم بان كل ما حصل في اللغة من التغير هو انحطاط وتقهقر الى الوراء . كما لا يجوز الحكم بان جميع ذلك هو اصطفاء وارتقاء . لاننا ان قلنا بالاول كذبنا قانون بقاء الانسب ؛ وان قلنا بالثاني كذبنا البدهية ومن ذا الذي يستطيع ان يدعي بان سقوط الاعراب من اللغة العربية مخالف لقانون بقاء الانسب . وانما ضروري لا بد منه للمتكلم بالعربية . مع اننا نرى العامة تفاهم تمام تفاهم بكلامها الحالي من حركات الاعراب . فالاولى اذا هو ان تترك الافراط والتفريط فنقول بان هذا التغير الحادث في اللغة منه ما يعد انحطاطاً ومنه ما يعد ارتقاءً .

ومما لا مرية فيه ان اللغة العامية اليوم مزينة لا تنكر . وذلك انها على غلبتها نراها جارية مع الزمان في مفرداتها فهي تنمو كل يوم بالاخذ من غيرها بخلاف العربية الفصحى فان وجودنا فيها واقتصارنا منها على ما نرا لا يفي معاجم اللغة قد رماها بالتوقف عن النمو حتى اصبحت متأخرة عن لغات الامم الحاضرة على رغم ما اختصت به من المزايا التي خلت منها تلك اللغات . ومهما كان فليس هذا البحث من موضوعنا هنا فلنضرب عنه صفحاً . وانما

غرضنا في هذا الكتاب هو ان نضبط لغة العامة بما يلزم من الضوابط الصرفية والنحوية لاسباب :

الاول ان يكون ذلك كمقدمة لمن اراد ان يبحث بحثا تاريخيا عن اللغة العربية وما طرأ عليها من الطوارئ، التي اثرت فيها وتصنيف ما حدث فيها من التغيرات المختلفة باختلاف الازمنة والامكنة . والمفايسة بين حاضرها وغابرها .
ايعلم هل تلك التغيرات هي انحطاط في اللغة او هي ارتقاء فيها .

الثاني : تسهيل التفاهم بين اهل البلاد المختلفة فيسهل على السوري مثلاً فهم كلام العراقي ، وعلى العراقي فهم كلام السوري والحجازي ، لكنني لم اتكلم هنا إلا عن لغة اهل العراق فقط . وعسى ان يكتب بعض السوريين ما يسهل به على العراقي فهم كلام السوري . على ان لغة اهل العراق لا تخالف لغة اهل نجد والحجاز إلا قليلاً وتخالفتها اللغة السوريين اظهر من مخالفتها للغة الحجازيين وقد اجتمعت مرة في حلب الشهباء برجال من اعيانها في مجلس حاشد فكلم احدهم اذا وجه إلى الكلام غير لهجته وكلمني بما يقرب من العربية الفصحى : فافهم كذاً من ذلك ولكنه عند ما يكلم غيري من الحلبيين بلهجتهم الخاصة لم اكن افهم منه تمام الفهم : فكنت استعبد منه بعض الكلام لا فهمه . وذهبت مرة في حلب ايضاً الى السوق ولما اردت العود الى محلي تشابهت علي الطرق : فسألت بعض المارين : من اين الطريق الى محل كذا فقال لي : «سوي» فلم افهم ما اراد وكهرت ان اقول له : اني لم افهم معنى «سوي»

الثالث : تنبيه الافكار الى ادبيات العوام : فان الادبيات الخاصة بالعوام موجودة عند جميع الامم . وتختص ادبيات العامة بانها هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة ما للسواد الاعظم من الافكار والعادات : فاذا اردت ان تعرف ما هي عواطف السواد الاعظم من كل امة : وما هي عاداتهم التي جروا عليها وافكارهم التي يفكرون فيها وامثالهم التي يمارنون بها فانظر في كلام طغماها وادبيات عوامها .

على ان في ادبيات العامة ما لا يستخف به من الكلام ففي قول قائلهم :

او سقيت [١] الشوك عنبر قط [١] ما يحمل ورد
من المعنى ما لا يقصر عن امتال المتبني وحكمياته ؛ حتى ان الفاظه ايضا تعد من
اول طبقة بالنسبة الى اللغة العامية . وعندي ان قول النائحة :
يا هللهما الشهر ما قشر [١] اليا ليد محمد باوله وعمشا بتاليه
لا يقصر في باب الرثاء عن قول ابي تمام : كذا فليجل الخطب وليفدح الامر الخ

ولما كان هذا الكتاب خاصا بلغة العامة من اهل العراق : وسمته باسم من
كلام العامة فسميته « دفع المراق : في كلام اهل العراق » . والمراق كلمة عامية
تقع في كلامهم بمعنى الاقتكار في الشيء . لاجل الخوف منه او لاجل معرفته
وحب الاطلاع عليه . وهي بالمعنى المذكور دخيلة في كلامهم ؛ ولها اصل
في العربية وهي جمع مرق (بتشديد القاف) . يقال : مراق البطن (بتشديد
القاف) : لما رق ولان منه . ومنها اخذ الاطباء لفظ المراقبة (بتشديد القاف)
التي هي عندهم تطلق على نوع من المالحوليا التي معناها الخلط الاسود منسوبة
الى مراق البطن : الا انهم يخفون ياءها فيقولون : مراقبة (بتشديد القاف)
ويطلقونها على طرف من الجنون كالهوس . وقد اخذ الاتراك هذه الكلمة
فحرفوا معناها ومنهم اخذتها العامة فاستعملوها بالمعنى المذكور آنفا وانما تعمدت
استعمال هذه الكلمة في اسم الكتاب ليكون الاسم مطابقا لمعناه . ونسأله
تعالى ان يجعله نافعا . آمين

معروف الرصافي

في ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٧

الموافق لـ ٤ شباط ١٩١٩

[١] هذه القافات تلفظ بالكاف الفارسية اي كحرف g الفرنسي في كلمة ga